

سورة النمل

معاني الكلمات :

يعمّهون : يتجبرون أو يعمون عن الرشد .

أنست نارا : رأيتهما .

بشهاب قيس : بشعلة نار .

تصطلون : تستدفنون .

لم يعقب : لم يلتفت .

جيبك : فتحة الثوب الذي يدخل منه

الإنسان رأسه .

مبصرة : واضحة ظاهرة .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يشعر بقيمة القرب من الله .
- ٢ - أن يتعرف الداعية على شروط الإيمان الصحيح، وعلاقة ذلك بقصة الكليم موسى عليه السلام .
- ٣ - أن يستكمل المؤمن إيمانه بزيادة العبادات بأنواعها : بدنية ومالية .

المحتوى التربوي :

تبدأ السورة بإثبات إعجاز القرآن بحروفه التي من جنس كلام العرب ، ولا يستطيعون أن يؤلفوا كتابا مثله ، ويلى ذلك التنبيه ذكر القرآن ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ والكتاب هو نفسه القرآن ، وذكره بهذه الصفة هنا يبدو لنا أنه للموازنة الخفية بين استقبال المشركين للكتاب المنزل عليهم من عند الله ، واستقبال ملكة سبأ وقومها للكتاب الذي أرسله إليهم سليمان ، وهو عبد من عباد الله .

ثم يصف القرآن أو يصف الكتاب بأنه ﴿ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ والتعبير القرآني على هذا النحو يجعل مادة القرآن وماهيته هدى وبشرى للمؤمنين ، والقرآن يمنح المؤمنين هدى في كل فج ، وهدى في كل طريق .

وفي تخصيص المؤمنين بالهدى ، وتكمن حقيقة ضخمة فيقول في ذلك صاحب الظلال : « إن القرآن ليس كتاب علم نظري أو تطبيقي ينتفع به كل من يقرؤه ويستوعب ما فيه، إنما القرآن كتاب يخاطب القلب أول ما يخاطب، ويسكب نوره وعطره في القلب المفتوح ، الذي يتلقاه بالإيمان واليقين ، وكلما كان القلب نديا بالإيمان زاد تذوقه لحلاوة القرآن ، وأدرك من معانيه وتوجيهاته ما لا يدركه منه القلب الصلد الجاف ، واهتدى بنوره إلى ما لا يهتدى إليه الجاحد الصادق ، وانتفع بصحبته ما لا ينتفع القارئ المطموس .

وإن الإنسان ليقراً الآية أو السورة مرات كثيرة ، وهو غافل أو عاجول فلا تفضي له بشيء ، وفجأة يشرق النور في قلبه ، فتفتح له عن عوالم ما كانت تحظر له بيال ، وتصنع في حياته صنع المعجزة في تحويله من منهج إلى منهج ، ومن طريق إلى طريق .

وكل النظم والشرائع والآداب التي يتضمنها هذا القرآن إنما تقوم قبل كل شيء على الإيمان ، فالذي لا يؤمن قلبه بالله ، ولا يتلقى هذا القرآن على أنه وحى من عند الله ، وعلى أن ما جاء فيه إنما هو المنهج الذي يريده الله ، الذي لا يؤمن هذا الإيمان لا يهتدى بالقرآن كما ينبغي ، ولا يستبشر بما فيه من بشارات .

ثم يعرض القرآن لصفات المؤمنين الذين يستأهلون البشرى والهدى ، وهي العبادة البدنية التي تنهى عن الفحشاء والمنكر والعبادة المالية التي تطهر النفس من الشح ، ثم هم بعد ذلك يؤمنون بالقضية المحركة للخشية من الله وهي الإيمان بالآخرة ، أما المنكرون ليوم الآخرة فهم في الضلال يهيمون ؛ لأنه لا يحركهم هدف أو خشية من الله عز وجل ، ولأن التغافل عن الآخرة يدفع للموبقات والشهوات ، فيكون الجزاء سوء العقاب والنكال من الله عز وجل .

يقول الإمام محمد أبو زهرة : « إن اليقين باليوم الآخر خلة المؤمن الدافعة إلى الخير ، والتي تجعله يتحمل متاعب هذه الحياة راجيا ما وراءها ، فإن فقد الإيمان باليوم الآخر ينسى الإنسان نفسه ، فيعتقد أن هذه الحياة هي وحدها الحياة ولا حياة بعدها ، ويحسب أنه خلق عبثا ، ولذا قال سبحانه : ﴿ زَيْنًا هُمْ أَغْمَلْتَهُمْ ﴾ ، أي حسن الله لهم أعمالهم ، فحسبوا وحدها الخير ، ولا يحسبون أن أعمالهم كلها زينة وأمر حسن ، فهم دائما بمن زين لهم أعمالهم فأروه حسنا ، فكل أعمالهم لا ينظرون إليها إلا من وراء نفوسهم غير المستقيمة ، ولا يعترفون بإرشاد مرشد ، ولا هداية هاد ، واعظ أو زاجر ، فهم في لهو دائم عن الحق ، وإن من كانت حاله كذلك قد ضرب على آذانه ، فلا يسمع الحق ، ولا يهتدى بهدية ، قد أهمل عقله وتفكيره ، وما أعطاه الله تعالى من مواهب ، وفترة مستقيمة ... ذلك أنهم يعمهون . »

والعاقبة معروفة لمن يزين له الشر والسوء سواء كان سوء العذاب لهم في الدنيا أو في الآخرة، فالخسارة المطلقة في الآخرة، محققة جزاء وفاقا على الاندفاع في سوء الأعمال .

يقول صاحب الظلال في قوله تعالى : « **وَإِنَّكَ لَتَلْقَىٰ أَلْقُرْآنَ مِن لَّدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ** » لفظ **لَتَلْقَىٰ** يلقى ظل الهداية المباشرة السنية من لدن حكيم عليم ، يصنع كل شيء بحكمة ، ويدبر كل أمر بعلم ، وتتجلى حكمته وعلمه في هذا القرآن في منهجه وتكاليفه وتوجيهاته ، وطريقته ، وفي تنزيله في إيابته ، وفي توالى أجزائه وتناسق موضوعاته .

وتأتى هنا حلقة من حلقات العقيدة لطمأنة قلب الرسول ، وتثبيت فؤاده في مشهد من مشاهد قصة الكليم موسى **عليه السلام** ، وترى رعاية الزوج لأسرته وخروجه لخدمة أهله بين الناس وحده وعطفه عليهم ، واستحقاق موسى **عليه السلام** لهذا التلقى ؛ لأنه استكمل شروط الطاعة فاستحق الاصطفاء بالرسالة ، فبعد ذهابه للإتيان بنار للاهتداء وللإستدفاء بها خوطب من قبل رب العزة ، وأمره بإلقاء عصاه فتحولت حية فخاف ، فكان النداء المطمئن إنه **«إِنِّي لَأَسْتَحَافُ لَدَيْكَ الْمُرْسَلُونَ»** ؛ فالدعاة لا يخافون لتعلقهم بالله الذي بيده النفع والضرر، والأخذ والعطاء، أما الذين يخافون عند ربهم فهم الظالمون لأنفسهم ؛ لأنهم لم يقدموا في دنياهم طاعة تشفع لهم .

ثم يفتح الله باب التوبة لمن ظلم بأن يتوب ، والله يعد بالمغفرة للذنوب ، ثم الرحمة ، وهاهنا جاءت المغفرة والرحمة في مقام الاطمئنان ، وصفات الربوبية ، والعزة ، والحكمة قبل ذلك؛ ليتنوع الخطاب الرباني للمكلف بالدعوة لتعليمه بأن يتنوع خطابه ؛ ليصل كلامه ولتتم رسالته .

وتأتى الآيات بدلائل ومعجزات لفرعون ولبنى إسرائيل حتى يؤمنوا ، ولكن الجحود والاستكبار منعهم من الإيابة ، وذلك حفاظاً على الأوضاع التي تسندهم ، والمغانم التي تتوافد عليهم ، فلجؤوا إلى ما يلجأ إليه الظلمة من اتهام الدعوة ، بالتهمة الباطلة بكون موسى ساحراً ، وهم يعلمون كذب حديثهم .

ما ترشدنا إليه الآيات تريبوياً :

١ - إن المستحقين هداية وبشرى القرآن هم القريبون من الله المستكملون لشروط الإيابة .

٢ - باب التوبة مفتوح لمن لجأ إلى الله ، وإن كان قد أسرف على نفسه قبل ذلك - والأخذ بيد التائبين إلى النجاة .

٣ - تنوع وسائل الدعوة إلى الله ، وتنوع الخطاب في الدعوة .

معاني الكلمات :

منطق الطير : لغة الطير .

بوزعون : يمنعون من التقدم .

لا يحطمنكم : لا يهلكنكم .

أوزعني : أهمني .

بسلطان مبین : بحجة واضحة .

أحطت : اطلعت .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن يشعر المؤمن بفضل قيمة الشكر .

٢ - أن يتعرف المسلم على سلوك الأنبياء إزاء نعم الله .

٣ - أن يتعود المسلم شكر نعمة الله قولاً وعملاً .

المحتوى التربوي :

وهنا تأتي نهاية الظالمين الذين رأوا الآيات أمامهم ، وتيقنوا منها ، ومن صدق من يدعونهم ،

فاستحقوا العقاب ؛ لأنهم جحدوا بنعمة الله .

ثم تتواصل ملحمة الدفاع عن العقيدة بذكر قصة داود وسليمان عليهما السلام ، وتُستهل

بإقرار الفضل الله ، وهو فضل العلم ، وحمد الله على تعليم سليمان لغة الطير ، فكان العلم هنا

مقرناً إلى الله ؛ ذلك لأن المنعم عليه أدرك فضل النعمة بشكر المنعم باللسان والجوارح ، وليس

تعلم الذين لا يخشون الله ، فاستخدموه في الهلاك والدمار .

يقول الإمام الفخر الرازي : « وأما قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ففيه أبحاث :

أحدها : إن الكثير المفضل عليه هو من لم يؤت علما أو من لم يؤت مثل علمها ، وفيه أنها فضلا على كثير وفضل عليهما كثير .

ثانيها : في الآية دليل على علو مرتبة العلم ؛ لأنها أوتيا من الملك ما لم يؤت غيرهما فلم يكن شكرهما على الملك كشكرهما على العلم .

وثالثها : أنهم لم يفضلوا أنفسهم على الكل ، وذلك يدل على حسن التواضع .

ورابعها : إن الظاهر يقتضى أن تلك الفضيلة ليست إلا ذلك العلم ، ثم العلم بالله وبصفاته أشرف من غيره ، فوجب أن يكون هذا الشكر ليس إلا على هذا العلم ، ثم إن هذا العلم حاصل لجميع المؤمنين ، فيستحيل أن يكون ذلك سببا لفضيلتهم على المؤمنين .

فإذن هو أن يصير العلم بالله وبصفاته جليا بحيث يصير المرء مستغرقا فيه بحيث لا يخطر بباله شيء من الشبهات ، ولا يغفل القلب عنه في حين من الأحيان ، ولا ساعة من الساعات .

وقال صاحب الظلال في قوله تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾ « المفهوم إنها وراثة العلم ؛ لأنه هو القيمة العليا التي تستأهل الذكر ، ويؤكد هذا إعلان سليمان في الناس .. فيظهر ما علمه من منطق الطير ، ويحمل بقية النعم مع إسنادها إلى المصدر الذي علمه منطق الطير ، وليس هو داود ، فهو لم يرث هذا عن أبيه ، وكذلك ما أوتيته من كل شيء ، إنما جاءه من حيث جاءه ذلك التعليم .

على أن هذا كله لم يكن إلا شقا واحداً للخارقة التي أتاحها الله لعبده سليمان ، أما الشق الآخر فكان تسخير طائفة من الجن والطير لتكون تحت إمرته ، وطوع أمره ، كجنوده من الإنس سواء بسواء .

ثم تسوق الآيات خروج سليمان وموكبه المهيب ، وتنظيمه الدقيق ثم يشعر بنعمة الله ويتواضع له ، فلا تطفيه ضخامة جيشه ، بل أدرك نعمة الله عليه بخطاب النملة ، وهي أمة منظمة ، فتوجه بالشكر إلى الله على نعمه عليه وعلى آبائه ، ويدعو ربه أن يوفقه للعمل الصالح ، وأن يكون هو - سليمان - من الصالحين ، إن قيم التواضع ، وحسن التدبر ، والذكر والخشية تظهر في الآيات ، وتشير إلى أن فضل الله يجب أن يقابل بالشكر وأن العمل الصالح توفيق من الله .

قيمة المعجزة ليس في إدراك سليمان للغة النملة فحسب ، ولا إدراك النمل للخطر فقط ، بل تظهر أكثر في إدراك النملة أن هذا هو سليمان وجنوده ، وأن إهلاكه لمملكة النمل إن حدث لن يكون عمداً ، لأن رسالة الأنبياء الإصلاح لا الإفساد ؛ لذا فقد تبسم سليمان .

قال الإمام الفخر الرازي : « اعلم أن سليمان عليه السلام طلب ما يكون وسيلة إلى ثواب الآخرة أولاً ، ثم طلب ثواب الآخرة ثانياً ، أما وسيلة الثواب فهي أمران :

أحدهما : شكر النعمة السالفة . والثاني : الاشتغال بسائر أنواع الخدمة .. وأما طلب ثواب الآخرة فقولته : ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ .. والصالح الكامل هو الذي لا يعصى الله تعالى ، ولا يهيم بمعصية وهذه درجة عالية .

ثم مشهد آخر من مشاهد نعمة الله لنبيه سليمان عليه السلام وترى فيها صفات الحاكم المسلم ، وكل من له رعية ، فتفقد الطير ، ولم يجد فرداً من الرعية ، ويقول في ذلك صاحب الظلال : « ندرك من افتقاده لهذا الهدهد سمة من سمات شخصيته : سمة اليقظة والدقة والحزم ، فهو لم يغفل عن غيبة جندي من هذا الحشر الضخم من الجن والإنس والطير ، الذي لا يجمع آخره على أوله كي لا يتفرق ويتكثف .

وسمة أخرى من سمات الحاكم العادل هي الشدة والحزم مع من تخلف عن مكانه ، ثم هو مع ذلك عادل لا يعاقب من يأتي بحجة قوية توضح عذره ، وتنفي المؤاخذة .

ولم تمنع شدة الحاكم وهيبته أحد أفراد رعيته أن يقول أنه أحاط علماً لم يعلمه حتى لو كان هذا الحاكم نبياً مرسلًا ، علم منطق الطير ، وحشرت له الإنس والجن والطير ، وهذا نموذج مثالي للجندية الصحيحة أمام القيادة الراشدة ، فالجندي - الهدهد - تصرف بذاتية وليس تصرفاً فوضوياً ، وذهب لوقت قصير لهيبته من الحاكم ولإنهائه المهمة ، ثم شجاعته في مواجهة الحاكم ، وذكائه ببدء حديثه بمفاجأة تطفئ على موضوع غيبته ، وتضمن إصغاء الحاكم له ، ثم مخاطبة الحاكم أن الخبر يقين وصادق لا أقاويل مرسله ، وليست تخروصات أو تكهنات أو إشاعات . ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - أن يتعود المسلم على شكر نعمة الله عز وجل عليه ، وأن نهارس الشكر قولاً وعملاً .

٢ - فضل الشكر قولاً وعملاً .

٣ - الاحتياط والتبصر في الحكم على الأمور .

٤ - الذاتية في العمل للإسلام .

٥ - الاستيثاق من الأخبار ، ونقل الأخبار لمن تعنيه .

معاني الكلمات :

- امراة : اسمها بلقيس .
- أوتيت : أعطيت .
- زين : حسن وحب .
- صدهم : منعهم .
- الخبء : المستور من الأرزاق .
- تول عنهم : تنح عنهم .
- الملأ : أشراف قومها .
- قاطعة أمرا : قاضية أمراً .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يشعر المؤمن بقيمة الشكر .
- ٢ - أن يتعرف الداعية على دور الشورى في قصة بلقيس ملكة سبأ .
- ٣ - أن يستشير المؤمن إخوانه في كل أمر معين له .

المحتوى التربوي :

يبدأ السياق وقد أتى الهدهد ولم يقض وقتا طويلا مديدًا في مكثه ، بل جاء فور التهديد الذي هدد به نبي الله سليمان عليه السلام ، وهو يقول له : علمت إحاطة ومعانية لأمر لم تحط به ولم تعلم به علم معانية ، وهكذا كان حظ الطير الضعيف أن يخاطب العظيم الذي أوتى كل شيء بالحرية وبالحق ، ليعلم الحكام الجهلة أن من واجبه أن يواجهوا الحاكم بكل ما يعلمون وفيه مصلحة الدولة ، وأن عليهم أن يتقبلوا شديد القول كما يتقبلون لينه .

يتتابع المشهد بعد ذكر كلمة « بِنَيْبٍ يَقِينِ » كأن ما يقال بعد ذلك هو غريب أن يصدقه عقل مؤمن في أن تكون الولاية الكبرى لامراة ، وقال : إنها « أوتيت من كل شيء » وهو ما قاله

سليمان عليه السلام : ﴿ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ وأن عرشها ضخم فخم ، وكانت المفاجأة الكبرى أن النعمة لم تقابل بالشكر ، بل بالجحود والنكران ، وعبادة خلق من خلق الله ، وهى الشمس .

كان إدراك الجندي - الهدهد - لقضية العقيدة إدراكًا بالغًا ، فاستنكر عبادة الشمس ، وأرجع ذلك للشيطان الذى يغوى ويضل ويزين الضلال لبليقيس والقوم ، وهو يعلم أن كيد الشيطان ضعيف ، ويعلن أن السجود لا يكون إلا لله الذى يخرج ما تحفيه الأرض ، وما يراه الهدهد بنفسه ، ويعلم السر والعلن ، فهى دعوة للتفكر فى خلق الإنسان وخلق السموات والأرض ، أو هى مقابلة للخبء فى السموات والأرض .

وعرش سليمان ، وعرش بليقيس ، وعروش ملوك الأرض لا تقاس بجانب عرش الله ، فهو رب العرش العظيم .

قال الإمام محمد أبو زهرة : « وصف الله - تعالى - المعبود بحق بثلاث صفات هى أعلى الصفات لواجب الوجود ، وكل صفاته عليا :

الصفة الأولى : أنه هو الذى يخرج خبأ السموات بالمطر الذى ينبت الزرع والنخيل والأعشاب ، ويخرج به خبأ الأرض بغلق الحب والنوى ، وإخراج المتراكب الذى يكون به غذاء الأحياء .

الصفة الثانية : أنه يعلم ما يسر وما يعلن الإنسان ، فهو عليم بحاله فى حركاته وسكناته ، وما يفعل من خير وشر ، ومجازيه على كل ما يفعل ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر ، وفيها تبشير بالجزاء ، وإنذار بالعقاب .

الصفة الثالثة : أن لا إله إلا هو ، فهو وحده المتصف بصفات الكمال التى توجب عبادته ، وهو صاحب السلطان رب العرش العظيم ، صاحب السلطان الكامل فى هذا الوجود .

ويضبط الحاكم نفسه ، ويستوثق من خبر الهدهد ، لأنه نبي عادل وحاكم حازم ، وليس كالحكام الظلمة الذين يعاقبون بالذم ويسرون أسرى الإشاعات الكاذبة والأقاريل المغرصة .

يوصل السياق عرض مشهد الدعوة من بدايتها ، ومنها الاستفادة من الجندي الذى عايش القصة من أولها ، وهنا يبدو ملمح استعلاء سلاح الإيمان على أى سلاح ، فكانت البسمة هى افتتاح الكتاب إلى الملكة ، فكانه عرض للدعوة بقوة من مقدمتها ، وعدم المهادنة ، كان سمت الخطاب إسلاميا ، وذم الاستكبار والاستعلاء ، لأنه من غواية الشيطان .

ويعرض النص القرآنى سمة الملكة الأريية بعد هذه الدعوة أنها تلجأ للشورى ، وهذا سبب استمرارها كملكة لها عرش عظيم ، لكن من حولها يعرفون مقاديرهم وقوتهم أنهم للقوة والبأس ، وتركوا أمر التصريف فى الحكم لها .

يقول الإمام محمد أبو زهرة : « أجابوا بثلاثة أمور مطمئنة ملقية في نفسها روح الاطمئنان على حكمها وسلطانها :

أول هذه الأمور: ﴿ تَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً ﴾ أى أصحاب قوة في استعدادنا من حيث العدد والذخيرة، وكل ما يحتاج إليه الجند القوى المستعد .

وثانى هذه الأمور : أنهم ﴿ وَأَوْلُوا بَأْسًا ﴾ أى أهل همة ونجدة وشجاعة لا تفرط في الدفاع أو الجهاد إذا دعا داعيه ، وإن بأسنا شديد ، لا نتخاذل في حرب .

الأمر الثالث: أن القيادة كلها (الأمر إليها) ... أى إذا كان الأمر إليك فانظري ماذا تأمرين..! لأن الاستعداد كامل تنفيذ الذى تأمرين به كاملا غير منقوص « .

وأبرز القرآن حصافتها في فهم طبيعة ملوك الدنيا الذين يفسدون القرى ويهلكون الحرث والنسل ، لكن نص رسالة سليمان مختلف عن طبيعة الملوك ، فلجأت للملاينة ، وبعثت بهدية وفي ذهنها كما يقول صاحب الظلال : « إن الهدية تلين القلب ، وتعلن الود ، وقد تفلح في دفع القتال ، وهى تجربة ، فإن قبلها سليمان ؛ فهو إذن أمر الدنيا ، ووسائل الدنيا إذن تجدى ، وإن لم يقبلها ، فهو إذن أمر العقيدة ، الذى لا يصرفه عنه مال . ولا عرض من أعراض هذه الأرض « .

يقول صاحب الأساس : « لا شك أن فكرة الهدية فكرة سياسية رائعة ، إذ من خلالها تستطيع التعرف على قوة سليمان وجيشه ، كما أن للهدية العظيمة أثراً في تليين نفوس الملوك فهى رشوة قد تفعل فعلها « .

ومن ثم قال قتادة رحمه الله : « ما كان أعقلها في إسلامها وشركها ، علمت أن الهدية تقع موقعا من الناس « .

ما ترشدنا إليه الآيات تروياً :

١- الحذر من غواية الشيطان وإضلاله بدوام الذكر والاستعاذة .

٢- التحقق من صدق الأخبار .

٣- الاستعانة بالشورى في كل موقف .

٤- معرفة كل إنسان قدره وقدراته .

٥- صبغ كل أمر من أمور حياتنا بصبغة إسلامية .

معاني الكلمات :

لا قبل لهم : لا طاقة لهم .

صاغرون : أذلاء .

عفريت : مارد من الجن .

نكروا لها عرشها : غيروا ملامحه .

الصرح : قصر عظيم .

مرد : مملس مسوى .

قوارير : زجاج شفاف .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يشعر المؤمن بقيمة القرب من الله .
- ٢ - أن يتعرف المسلم على قصة إسلام بلقيس ملكة سبأ .
- ٣ - أن يتوع المسلم وسائل دعوته لغيره حسب حال الدعوة وظروف الدعوة .

المحتوى التربوي :

ترسم الآيات صورة للداعى إلى الله في رده على الرشوة ، وهو يستنكر ذلك من أنه لا يريد المال ؛ لأن الأمر أمر عقيدة ، والله منّ عليهم بالملك والعلم وغير ذلك وقبل ذلك بالنبوة ، فكيف يقبل التخلي عن دعوته بهال ، وسليمان يدرك أن هذا الرد سينهى الأمر مع ملكة لا تريد العداة - كما يبدو من طريقتها في مقابلة رسالته القوية ! ويرجح أنها ستجيب دعوته ، أو يؤكد وقد كان .

قال النسفى : « إن ما عندى خير مما عندكم ، وذلك أن الله آتانى الدين الذى فيه الحظ الأوفر ، والغنى الأوسع ، وآتانى من الدنيا ما لا يستزاد عليه ، فكيف يرضى مثلى بأن يمد بهال بل أنتم قوم لا تعلمون إلا ظاهرًا من الحياة الدنيا ، فلذلك تفرحون بها تزدون ويهدى إليكم ؛ لأن ذلك

مبلغ همتكم ، وحالى خلاف حالكم ، وما أرضى منك بشيء ، ولا أفرح به إلا بالإيمان وترك المجوسية .

ثم يعرض القرآن حصافة نبي الله سليمان بعد عرض ذكاء الملكة بلقيس في مشهد سابق ، فبعد عرض الإسلام ، ومشهد الهدية والرشوة كانت الشدة في الرد بالإنذار بجنود لا قدرة للملكة سبأ بهم ، وإخراجهم من مملكتهم مدحورين مهزومين ، وذلك لإخافة من قالوا : إنهم أولو قوة وأولو بأس شديد ، أما الملكة فكان لابد من سوقها للإيمان بوسيلة أخرى وهى عرض مظهر من مظاهر القوة الخارقة لتقاد إلى الإيمان بالله ، ولأن في إيمانها وسيلة للإيمان من يأتمرون بأمرها .

ويظهر السياق هنا قيمة القرب من الله أنها تعطى قوة تفوق قوة الإنس ومردة الجن ، فعرض عفريت من الجن أن يأتى بعرش بلقيس قبل أن يقوم سليمان من مقامه ، وعرض مؤهلات القيام بالأمور وهى القوة والأمانة ، لكن رجل مؤمن على اتصال بالله أتى به قبل أن يرتد إليه طرفه ، وهكذا أجرى سليمان سباقا بين رعيته فكان القرب من الله هو الأقرب .

وفي قول الله تعالى على لسان نبيه سليمان عليه السلام : ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ ، يقول صاحب الظلال في ذلك : « استشعر أن النعمة على هذا النحو ابتلاء ضخم يحتاج إلى يقظة ليجتازه ، وإلى عون الله ليجتازه ، ويحتاج إلى معرفة النعمة والشعور بفضل المنعم ، ليعرف الله منه هذا الشعور فيتولاه ، والله غنى عن شكر الشاكرين » .

قال النسفى : « وفي كلام بعضهم إن كفران النعمة بوار - وقلما أقشعت نافرة رجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر ، واستدم راهنها بكرم الجوار ، واعلم أن سبوغ ستر الله - تعالى - متقلص عما قريب إذا أنت لم ترجُ الله وقارا ، أى لم نشكر الله نعمة » .

وفي صحيح مسلم : « يقول الله تعالى : « يا عبادى ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكى شيئا ، يا عبادى لو أن أن أو لكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا ، يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفىكم إياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » .

وبعد إحضار العرش كان اختبارا لذكائها وقدراتها؛ ليعلم كيف استحقت أن تملك قومها، فأمر بتغيير ملامح العرش ورأت الملكة ، وعندما سئلت عن تشابه عرشها بذلك العرش ردت بذكاء ولباقة الملوك ﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ وأخذ النص القرآنى يؤكد سلامة فطرتها أنها ما صدت عن سبيل الله ، أنها نشأت بين قوم كافرين ، وحين جاءتها الدعوة لمست شغفها قلبها وبدأت الحجب تزال ، وأن الشيطان هو الذى صدها عن السبيل لكن هاتف الإيمان بدأ يخاطبها..

ولم يبق إلا معجزة أخرى لتمزق نياط الكفر ، ودخلت الصرح وهو قصر من البللور ، أقيمت أرضيته فوق الماء ، وظهر كأنه لجة ، فلما قيل لها : ادخلي الصرح ، حسبت أنها ستخوض تلك اللجة ، فكشفت عن ساقها فقيل : إنه صرح عمود ، وحدثت المعجزة ، وظهر ذكاء الملكة في إدراكها أن سليمان مسخر له قوى أكبر من طاقة البشر ، فرجعت إلى الله ، وناجته معترفة بظلمها فيما سلف من عبادة غيره .

قال ابن كثير : « عن يزيد بن رومان : ثم قال لها ادخلي الصرح ؛ ليربها ملكا هو أعز من ملكها ، وسلطانا هو أعظم من سلطانها ، فلما رآته حسبته لجة ، وكشفت عن ساقها ، لا تشك أنه ماء تخوضه ... » .

ويقول صاحب الأساس : « وهذا الدرس العظيم الذى تأخذه من سليمان يفيد أن المدينة الإسلامية يجب أن تكون أرقى المدنيات ؛ لأن في ذلك إخضاعا نفسيا لبقية المدنيات ، وأهلها ، ومن المعروف أن من أسباب الردة المعاصرة تفوق الكافرين على المسلمين مدنيا ، مما أدى إلى وجود عقدة نقص عند المسلمين ، ومما جعل الكافرين يستغلون ذلك ليهاجوا الإسلام وأهله ، ويتفاخروا بالكفر وأنظمتهم » .

هكذا يلفت النص القرآنى قضية المساواة ، فيلقى أسلمت مع سليمان لله رب العالمين ، فعرفت أن الإسلام لله ليس استسلاما لأحد من خلقه ، ولو كان هو سليمان النبى الملك صاحب هذه المعجزات ، إنما الإسلام لله رب العالمين ، ومصاحبة المؤمنين ، وهكذا صُرب مثل للمعاندين الذين يأبون الهداية استكبارا فها هى امرأة ترى أن العزة فى الإيمان بالله الذى يسوى بين الغالب والمغلوب ، بين القائد والتابعين .

يقول صاحب الأساس : « هذا الدرس العظيم الذى تأخذه من سليمان أن المدينة الإسلامية يجب أن تكون أرقى المدنيات ، لأن فى ذلك إخضاعا نفسيا لباقي المدنيات وأهلها ، ومن المعروف أن من أسباب الردة المعاصرة هو تفوق الكافرين على المسلمين مدنيا » .
ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - تعظيم نعمة الله على الإنسان ، وعدم المساومة فى مسألة العقيدة .

٢ - فضل الاتصال بالله عظيم ، والقرب منه .

٣ - تنوع وسائل الدعوة إلى الله .

٤ - فضل الشكر فى استنزال نعمة الله واستزادتها .

٥ - الحذر من غواية الشيطان بالذكر والدعاء .

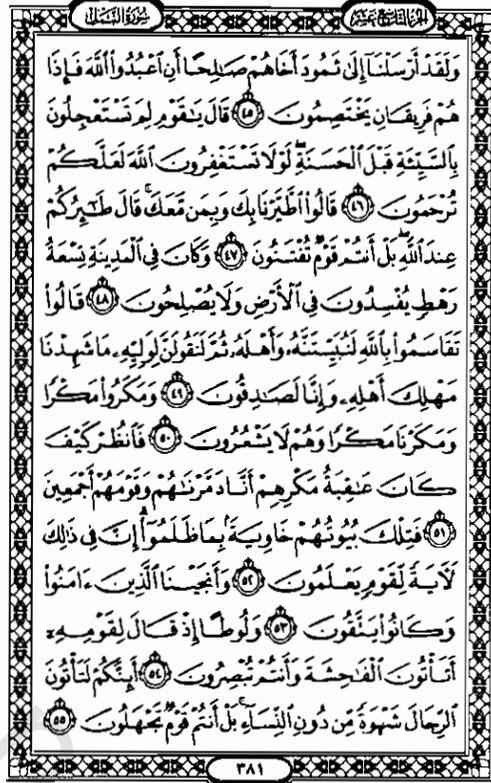
معانى الكلمات :

يختصمون : يختلفون .

اطيرنا : تشاء منا .

طائركم : حظكم المكتوب عليكم .

لنبيته : لنقلته فجأة .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يشعر المؤمن بقيمة الشجاعة في مواجهة المنكرات ومرتكبيها .
- ٢ - أن يتعرف المؤمن على جهاد صالح ولوط عليهما السلام ضد فساد قومهما .
- ٣ - أن يمارس المؤمن فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المحتوى التربوي :

تسوق الآيات قصة سيدنا صالح عليه السلام ، وتبرز موقف العقيدة بين فريقين ؛ فريق يدعو إليها، وفريق يصد عن سبيل الله ، رغم أن الداعى لا يدعو إلا إلى عبادة الله وهى أصل الرسالات الساوية لكن الكفار والمعاندين أعرضوا عن ذلك ؛ لأنهم يعرفون أن لها تكاليف وتبعات وتخل عن مطامعهم ومصالحهم الدنيوية وهو الفريق الأكثر عددا .

يقول صاحب الظلال : « يلخص رسالة صالح عليه السلام في حقيقة واحدة : ﴿ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ فهذه هى القاعدة التى تركز عليها رسالة السماء إلى الأرض فى كل جيل ، ومع كل رسول ، ومع أن كل ما حول البشر فى هذا الكون ، وكل ما يمكن فىهم أنفسهم ، يهتف بهم إلى الإيمان بهذه

الحقيقة الواحدة ، فقد أمضت البشرية أجيالا وأزمانا لا يعلمها إلا الله ، وهى تقف أمام هذه الحقيقة البسيطة وقفه الإنكار والحجود ، أو وقفة الهزء والتكذيب ، وما تزال إلى اليوم تزوغ عن هذه الحقيقة الخالدة ، وتجنح إلى شتى السبل التى تتفرق بها عن سبيل الله الواحد المستقيم .

لكن الكفار وهم فى الطريق للغرق يرفضون الأيدى التى تنقذهم ، وهم رسل الله ، رسل الهداية ، دعاة إلى الخير لكن يواجهون بالاستهزاء ، والداعية مع ذلك رحيم بهم يدعوهم للاستغفار ؛ لأن رحمة الله تنزل على المستغفرين ، ولا يقتصر الداعية على ذلك فحسب ، بل يصحح لهم المفاهيم بأن تشاؤمهم به وبالمؤمنين ، وإنه من خرافاتهم التى أوصلهم إليها الجهل والضلال والكفر وجحود نعمة الله .

والتطير : التشاؤم مأخوذ من عادة الأقسام الجاهلة التى تجرى وراء الخرافات والأوهام ؛ لأنها لا تخرج منها إلى نصاعة الإيآن ، فقد كان الواحد منهم إذا هم بأمر لجأ إلى طائر فزجره أى أشار إليه مطارداً ، فإذا مر سانحا عن يمينه إلى يساره استبشر ومضى فى الأمر ، وإن مر بارحاً عن يساره إلى يمينه تشاءم وتوقع الضر ، وما تدرى الطير الغيب ، وما تنبئ حركاتها التلقائية عن شىء من المجهول .

ولكن النفس البشرية لا تستطيع أن تعيش بلا مجهول مغيب تكل إليه ما لا تعرفه ، وما لا تقدر عليه ، فإذا لم تكل المجهول المغيب إلى الإيآن بعلام الغيوب وكلته إلى مثل هذه الأوهام والخرافات التى لا تقف عند حد ، ولا تخضع لعقل ، ولا تنتهى إلى اطمئنان و يقين .

فلما قال قوم صالح قولتهم الجاهلة الساذجة الضالة فى تيه الوهم والخرافة ، ردهم صالح إلى نور اليقين ، وإلى حقيقته الواضحة ، البعيدة عن الضباب والظلام ، وقال : إن حظكم ومستقبلكم ومصيركم عند الله ، والله قد سن سنا وأمر الناس بأمر ، وبين لهم الطريق المستنير ، فمن اتبع سنة الله ، وسار على هده ، فهناك الخير بدون حاجة إلى زجر الطير ، ومن انحرف عن السنة ، وحاد عن السواء فهناك الشر بدون حاجة إلى التشاؤم والتطير ، والظاهر أيا القوم أنكم قوم تستدرجون فيما أنتم فيه من الضلال .

يقول صاحب الظلال : « هكذا ترد العقيدة الصحيحة الناس إلى الوضوح والاستقامة فى تقدير الأمور ، وترد قلوبهم إلى اليقظة والتدبر فيما يقع هم أو حولهم ، وتشعرهم أن يد الله وراء هذا كله . وأن هذا الكون تدبيره وحفظه بأمر الخالق المدبر الحكيم » .

وكما أن الإيآن يحرك صاحبه نحو الهدى والعمل للإسلام ، فإن الكفر والصد عن سبيل الله يدعو للفساد والإفساد فأفسدوا فساداً كبيراً ، وأى جريمة أشد من القتل قتل الأنبياء والمؤمنين

في الظلام وللهرب من أولياء دم صالح وأهله ، والعجب أنهم قالوا : ﴿ تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ ﴾ فلا يجحد المرء بالأعمال الفاسدة التي قد تغطيها أقاويل تجمل مقصدها ، والأشد عجباً تذييل الآية بقوله : ﴿ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴾ فهم يبررون كذبهم ؛ لأن النفس الإنسانية تمتلئ بالانحرافات والالتواءات حين لا تهتدى بنور الإيمان .

ولكن المعية الربانية للمؤمنين تظهر في إبطال كيد الظالمين ، وكم يخطئ الجبارون وينخدعون بما يملكون من حيلة ، ويجهلون أن قوة الله تباغتهم في أى وقت من حيث لا يشعرون ، فدمر الله هؤلاء الأقوام بظلمهم وصددهم ، وكانت النجاة للمؤمنين وللذين يتقون بالله ؛ لأن الله يدافع عن الذين آمنوا وينصر رسله والمؤمنين الذين سلكوا طريقهم غير هيابين غير خائفين إلا من الله فيؤمنه الله من المخاوف داتها .

وتستمر قصة الدفاع عن العقيدة في حلقة أخرى وهى قصة لوط مع قومه ، وهى ملحمة في وقوف الداعية أمام فساد القوم وارتكاس الفطرة ، ومخالفة سنة الله في الكون ، فوبخهم على هذا الفعل الشائن ؛ لأنه حدث في مجتمع كامل ، وفيه نساء فانحرف الفطرة كان انحرافاً جماعياً .

يقول صاحب الظلال في تذييل الآية : ﴿ وَأَنْتُمْ تُنصِرُونَ ﴾ أى يبصرون الحياة في جميع أنواعها وأجناسها تجرى على نسق الفطرة ، وهم وحدهم الشواذ في وسط الحياة والأحياء والفطرة السليمة ميل الجنس للجنس الآخر ؛ لأنه جعل الحياة تقوم على قاعدة التزاوج ، والأحياء يجدون لذتهم في تحقيق مطالب الفطرة ، والقدرة المدبرة تحقق ما تشاؤه من وراء لذتهم المودعة في كيانهم بلا وعى منهم ، ولا توجيه من غيرهم .

وكان في تكرار ذكر الفاحشة بإبراز طبيعتها لإبراز شذوذها ومخالفتها لمألوف البشرية ومألوف الفطرة ، لإظهار تقزز الداعية ونفوره من ذلك الفعل المشين ، ولم يكن عجباً أن يدمغهم بالجهل بمعنييه ؛ سواء فقدان العلم أو السفه والحمق ، وكلا المعنيين متحقق في هذا الانحراف البغيض ، فالذى لا يعرف منطق الفطرة يجهل كل شئ ، ولا يعلم شيئاً أصلاً ، والذى يميل هذا الميل عن الفطرة سفیه أحمق معتد على جميع الحقوق .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - عدم الانخداع بالشعارات الكاذبة ، فقد تكون الدعاوى المشبوهة الباطلة محلاة بزينة تزين مقصدها .

٢ - الثقة في تدبير الله وتقديره ومعيته للمؤمنين .

٣ - الشجاعة في مواجهة الفواحش ومرتكبيها .

معاني الكلمات :

الغابرين : المهلكين .

ذات بهجة : ذات جمال .

خلاها : شعابها .

رواسي : جبالاً ثوابت .

حاجراً : فاصلاً .

نعالي : تنزهه وتقدس وتعظمه .



الأهداف الإيجابية والسلوكية :

١ - أن يشعر المؤمن بقيمة الاعتبار والتفكير في خلق الله .

٢ - أن يتعرف المؤمن على بعض مظاهر نعمة الله في الكون وإعجازها .

٣ - أن يعتاد المؤمن الاعتبار والتفكير في خلق الله .

المحتوى التربوي :

ويتواصل النص القرآني في عرض مواقف الكافرين وانتكاس وارتكاس فطرتهم ، وقد اعتبروا صفاء الفطرة واستقامتها خروجاً من تقاليدهم ، وهو نفس ما تحاول مجتمعات معاصرة من تقنين هذا الشذوذ ومساواة مرتكبيه بمن يسير على سواء السبيل .

وما كان جواب قوم لوط إلا أن هموا بإخراج لوط ومن سمع دعوته ، وهم أهل بيته - إلا امرأته - بحجة أنهم أناس يتطهرون ، وقولهم هذا قد يكون تهكماً بالتطهر من هذا الرجس القدر ، وقد يكون إنكاراً عليه أن يسمى هذا تطهراً ، فهم من انحرف الفطرة بحيث لا يستشعرون ما في ميلهم المنحرف من قدارة ، وقد يكون ضيقاً بالطهر والتطهر إذا كان يكلفهم الإقلاع عن ذلك الشذوذ .

على آية حال لقد هموا همهم ، وحزموا أمرهم ، وأراد الله غير ما كانوا يريدون ، وكان المطر الذى أنزل عليهم إهلاكاً لهم وغسل الأرض من فسادهم .

ويقول صاحب الظلال : « لكننا نلمح في اختيار هلاك قوم لوط بالمطر ، وهو الماء المحيى المنبت أنه مماثل لاستخدامهم ماء الحياة ماء النطف في غير ما جعل له ، وهو أن يكون مادة حياة وخصب ، والله أعلم بقوله ومراده » .

وأنجى الله لوطاً وأهله إلا امرأته قدر الله أنها من الهالكين فلم ينفعها أنها زوجة نبي أن تنجو من عذاب الله ؛ لأنها كانت تدل القوم على مكانه ؛ لأن القرابة قرابة الإيثار ، والنسب مقطوع إلا نسب العقيدة .

قال الزمخشري : « أمر رسوله ﷺ أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته ، وأن يستفتح بتحميده ، والسلام على أنبيائه والمصطفين من عباده ، وفيه تعليم حسن ، وتوقيف على أدب جميل ، وبعث على التيمن بالذكرين ، والتبرك بهما ، والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقي إلى السامعين ، وواصفاتهم إليه وإنزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغونها المسمع .

ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كباراً عن كبار هذا الأدب ، فحمدوا الله عز وجل ، وصلوا على رسول الله ﷺ أمام كل علم مفاد ، وقبل كل عظة وتذكرة ، وفي مفتتح كل خطبة ، وتبعهم المترسلون ، فأجروا عليه أوائل كتبهم في الفتوح والتهانى ، وغير ذلك من الحوادث التي لها شأن » .

وقال ابن كثير : « والقصد أن الله - تعالى - أمر رسوله ، ومن اتبعه بعد ذكره لهم ما فعله بأوليائه من النجاة والنصر والتأييد وما أحل بأعدائه من الخزي والنكال والقهر أن يحمده على جميع أفعاله ، وأن يسلموا على عباده المصطفين الأخيار » .

وكان لا بد من هذا القصص القرآنى من ذكر نعم الله وإثبات قدرة الله ونعمة الله في اصطفاة عباده يهدون للحق وإلى طريق مستقيم ، وحمد الله على إرساله هؤلاء الرسل فهم صفوة خلق الله ، ومصايح البشرية لطريق الهدى ومنعها من طريق الردى ، لكن المجتمعات الفاسدة لا تخرج لنا إلا من يفسدون في الأرض ولا يصلحون .

ومع العظمة والجلال والعظمة والاعتبار ، يستمر السياق القرآنى في خلق الله المقترن بالرحمة من خلقه للسموات والأرض ، وأنزل لنا مطراً ، ومن المطر أنبت لنا حداثق ويساتين ذات بهجة وزينة ، وإن المرء يبقى مشدوهاً لهذا الإعجاز ، ولا يملك إلا أن ينطق لسانه بتوحيد الله والإقرار له بالخضوع والإذعان ، ويمتلئ المر غيظاً وتقززا من الذين يساوون مع الله معبودات أخرى .

قال النسفي: « ولا خير فيها أشركوه أصلاً حتى يوازن بينه ، وبين ما هو خالق كل شيء ، وإنما هو إلزام لهم وتكلم بحالهم ، وذلك أنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله تعالى ، ولا يؤثر عاقل شيئاً على شيء إلا لداع يدعوه إلى إثارة من زيادة خير ، ومنفعة فقيل لهم مع العلم بأنه لا خير فيما آثروه ، وأنهم لم يؤثره لزيادة الخير ، ولكن هوى وعبثاً ؛ لينبهوا على الخطأ المفرط ، والجهل المورط ، وليعلموا أن الإيثار يجب أن يكون للخير الزائد . »

ويستمر السياق القرآني في عرض الإعجاز القرآني في جعله الأرض دون سواها من الكواكب مقرّاً للإنسان وذلك لها بالأناهار ، وثبت فيه الرواسي التي تحفظ الأرض ، وفصل بين العذب الفرات ، والملح الأجاج بفواصل يجعل منسوب النهر أكبر من منسوب البحر ، وإن عين الاعتبار والاتعاظ من هذا ، ذلك هو التأمل في خلق السموات والأرض .

ثم ينتقل السياق للتأمل في النفس حين ضعفها واضطرابها أنها بالفطرة السليمة لا تلجأ إلا لله بقوته ؛ كي ينجدها مما هي فيه ، ويتجه الإنسان إلى الله ، ولو كان قد نسيه من قبل في ساعات الرخاء ، فهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويزيل الضر ، وهو الذي جعلنا خلفاء في الأرض ، ولو علم الإنسان تبعات هذا الاستخلاف ما ضل عن السبيل ، بل أن الكون وما فيه من نعم أعد لهذا الإنسان ، فأقبح بالجحود والنكران ولو تذكر الإنسان وتدبر مثل هذه الحقائق لبقى موصولاً بالله ، ولكن الناس ينسون ويغفلون .

وما زالت الدعوة للتأمل والاتعاظ مستمرة ، فالتاس يسلكون فجاج البر والبحر في أسفارهم ، ويسرون أسرار البر والبحر في تجاربهم ، ويبتدون ، فمن يهديهم ؟ من أودع كيانتهم تلك القوى المدركة ؟ من أفدرهم على الاهتداء بالنجوم وبالآلات والمعالم ؟ من وصل فطرتهم بفطرة هذا الكون ، وطاقتهم بأسراره ؟ من جعل لأذانهم تلك القدرة على التقاط الأصوات ، ولعيونهم القدرة على التقاط الأضواء ؟ ولحواسهم تلك القدرة على التقاط المحسوسات ؟ ثم جعل لهم تلك الطاعة المدركة المسماة بالعقل أو القلب للانتفاع بكل المدركات ، وتجميع تجارب الحواس والإلهامات ؟ ثم هذا المطر من قدره وبعثه رياحا تسيّر سحبه ؟
ما ترشدنا إليه الآيات تروياً :

١ - صلة الإيمان هي أقوى الصلات التي تربط بين المؤمن وإخوانه وأقاربه .

٢ - ملازمة التفكير والتدبر في السموات والأرض .

٣ - ملازمة التفكير في خلق الإنسان وبيدع صنع خلق الله .

٤ - اللجوء إلى الله في الرخاء والشدة .

معانى الكلمات :

ادارك علمهم : عجز علمهم عن معرفة وقتها .

عاقبة : مصير ونهاية .

المجرمين : المكذبين بالرسول .

ردف : قرب .

ضيق : حرج وضيق بالصدر .

ما تكن صدورهم : ما تخفى وتستر .

غائبة : شىء يغيب ويخفى عن الخلق .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن يشعر المؤمن بقيمة الإيمان بالبعث والنشور .

٢ - أن يعلم المؤمن مواقف الكفار من قضية البعث والنشور .

٣ - أن يتفكر المؤمن دائماً في البعث والنشور وما بعدها .

المحتوى التربوى :

تواصل الآيات عرض الإعجاز الإلهى المرتبط بحياة الإنسان ؛ ليكون أسهل الى الإقناع ، وأقرب إلى الإقرار بوجود الله ، فالذى بدأ الخلق قادر على إعادته ، وهذا يقود للإيمان بالبعث والنشور والجنة والنار ، وهو الذى يرزق ؛ لأنه بيده السموات والأرض .

وقال صاحب الظلال : « وقد ذكر رزقهم من السماء والأرض بعد ذكر البدء والإعادة ؛ لأن رزق السماء والأرض له علاقة بالبدء والإعادة ، فعلاقة رزق الله بالبدء معروفة فهو الذى يعيش عليه العباد ، وعلاقة الإعادة أن الناس يجزون فى الآخرة على تصرفهم فى هذا الرزق الذى أعطوه فى الدنيا » .

ثم ينتقل السياق القرآني بعد هذه الجولة في الآفاق وفي أنفسهم لإثبات الوجدانية ونفى الشرك ، ويأخذ معهم جولة أخرى عن الغيب المستور الذي لا يعلمه إلا الخالق الواحد المدبر ، وفي هذا خير للإنسان ، فلو علم الله أن في كشف هذا الستر المسبل خيراً لكشفه للإنسان المتطلع الشديد التطلع إلى ما وراءه ، كذلك يجب الإيثار بالبعث وما بعده ، وكما يقول صاحب الظلال : « والإيمان بالبعث والحشر والحساب وبالجزاء عنصر أصيل في العقيدة لا يستقيم منهجها في الحياة إلا به ، فلا بد من عالم مرتقب ، يكمل فيه الجزاء ، ويتناسق فيه العمل والأجر ، ويتعلق به القلب ، وتحسب حسابه النفس ، ويقيم الإنسان نشاطه في هذه الأرض على أساس ما ينتظره هناك » .

وهنا يقرر السياق أن الغيب من الله ، وأن علمهم عن الآخرة منته محدود ، ولقد وقف الإنسان منذ بدء الخليقة أمام ستر الغيب المحجوب ، لا ينفذ إليه علمه ، ولا يعرف مما وراء الستر المسدل إلا بقدر ما يكشف له منه علام الغيوب ، وكان الخير في هذا الذي أرادته الله ، ولقد منح الله هذا الإنسان من المواهب والاستعدادات والقوى والطاقات ما يحقق به الخلافة في الأرض ، وما ينهض به بهذا التكليف الضخم ولا زيادة ، وانكشف ستر الغيب له ليس مما يعنيه في هذه المهمة .

وليس الإنسان وحده هو المحجوب عن غيب الله ولكن كل من في السموات والأرض من خلق الله من ملائكة وجن وغيرهم ممن علمهم عند الله ، وبعد هذا التعميم في أمر الغيب يخصص في أمر الآخرة ؛ لأنها القضية التي عليها النزاع مع المشركين بعد قضية التوحيد ، وينفى عنهم العلم بموعد البعث في أغمض صورته وهو الشعور ، فهم لا يعلمون بهذا الموعد يقينا ، ولا يشعرون به حين يقترب شعورا .

ثم يضرب عن هذا ليتحدث في موقفهم من الآخرة ، ومدى علمهم بحقيقتنا ، فأسباب استحكام العلم وتكامله بأن القيامة كائنة قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون .

وكما أن نقطة الإيمان بالبعث والنشور نقطة حاسمة فاصلة في قضية الإيمان ، كانت هي العقدة التي يقف أمامها الذين كفروا دائما فهم لا يصدقون أن أجسادهم إذا فئت ستعاد مرة أخرى هي وأجساد آبائهم ، رغم أنهم سمعوا هذا التذکر قبل ذلك ، وهذا يعنى أن رسالات الله لا تنقطع ، وأن الرسل والدعاة لا ينقطعون عن الدعوة إلى الله ، ويواجهون انحراف العقيدة

وفساد الأخلاق ؛ وهذا الأمر يتكرر ويتكرر مع الدعوة للمعاندين والجاحدين حتى يأخذوا عبرة من سبقهم .

ولمسة حانية يأتي بها النص القرآني على الدعاة بالألا يحزنوا لما يصيبهم ، ولا يضايقهم مكر الكفار ، فهم دعاة إلى الله ، لا يريدون إلا الخير لأقوامهم ، فلم يضيقون من مكرهم والله خير الماكرين ؟

وتستمر الآيات في سرد ضلالات المكذبين ، وغواية الشيطان لهم باستهزائهم من رسل الله واستعجالهم العذاب الذي يهددون به ، ثم كانت ثقة الداعية بربه ، ورده القوى عليهم بأن العذاب قد يحيق بهم، فقد يكون وراءهم - رديفا لهم كما يكون الرديف وراء الراكب فوق الدابة - وهم لا يشعرون ، وهم في غفلتهم يستعجلون به وهو خلف رديف ، ويا لها من مفاجأة ترتعش لها الأوصال ، وهم يستهزئون ويستهترون .

وهنا يظهر فضل نعمة الله في إرساله للرسل ، وفضله عليهم في تبشيرهم بالجنة ، وتخويفهم من النار لكن أكثر الناس لا يشكرون نعمة الله عليهم في إمهالهم ، وتأخير العذاب عليهم رغم أن الله يعلم ما تكن صدورهم ، وما تعلنه ألسنتهم وأفعالهم ، فإمهال الله لهم عن علم وفضل ، ولأنه لا شيء في السماء والأرض يغيب عن علم الله وفضله .

ثم يأتي النسق القرآني يؤكد وحدة مصدر التشريع في الأمة الإسلامية ، وأن هذه الأمة قد ميزت عن الأمم السابقة بعدم اختلافها في دينها ، وليست كالأمم الأخرى الذين فرقوا دينهم شيعاً فلسنا منهم ، لكن القرآن أتى بالحقائق الثابتة والقصص الصحيحة من غير تحويل ولا اختلاف ، فلم تختلف اختلاف النصارى في أمر المسيح وقصه صلبه ، ولم تختلف اختلاف اليهود في تشرعاتهم وحكاياتهم عن أنبياء الله ، بل جاء القرآن مطهراً لصفحات هؤلاء الرسل الكرام التي لوثنها الأساطير الإسرائيلية .

ما ترشدنا إليه الآيات تريبوياً :

- ١ - تنوع الخطاب في الدعوة إلى الله حسب فئات المدعوين وأعمارهم وأحوالهم .
- ٢ - وجوب التفكير والاعتبار في البعث والنشور .
- ٣ - ألا ييأس الداعى إلى الله من هجر وصد الناس له .

معانى الكلمات :

- يقضى بينهم : يحكم بينهم .
مدبرين : معرضين .
وقع القول : اقتربت الساعة .
نحشر : نجمع للحساب .
فوجا : جماعة .
داخرين : أذلاء صاغرين .
جامدة : ثابتة لا تتحرك .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يشعر المؤمن بهول يوم القيامة وما يسبقه من أشرط الساعة .
- ٢ - أن يعرف المؤمن بعض مشاهد يوم القيامة وبعض علامات الساعة .
- ٣ - أن تزداد عبادات وطاعات المؤمن لربه ، ويزداد انطلاقه في الدعوة .

المحتوى التربوي :

ويأتى النسق القرآنى بذكر صورة مقابلة لاختلاف بنى إسرائيل بذكر المؤمنين وما فيه من هدى يقى هؤلاء المؤمنين من الاختلاف والضلال ، ورحمة تحميهم من الشك والقلق ، إنما غير المؤمنين فمناهجهم متخبطة مختلفة ، وقصصهم حول الأنبياء فيها الاختلاف والافتراء ، وأمرهم إلى الله عز وجل يقضى بينهم بحكمه .

ثم يتواصل النسق القرآنى في تأكيد انتصار الحق وإن استبطأه المؤمنون ، لكن سنة الله لا تتخلف بانتصار هذا الحق ، ولا يتم الإيذان بالله إلا باعتماد صدق المنهج الربانى والعمل به ، ولا يضر الرسل والدعاة صد الكفار وإعراضهم ويصورهم القرآن بالموتى تارة لجمود قلوبهم ،

وجود روحهم، وبلادة حسهم، وهمود شعورهم، بل هم صم مدبرون عن الداعى لا يسمعون، وعُمى عن الحق يتخبطون فى ضلالتهم، وذلك شأن من اتخذ دستورًا غير القرآن، ومنهاجًا غيره، وكذب وأعرض عن الحق إذ جاءه .

لكن الفائز فى الحياة الدنيا وفى الآخرة هو من تهيأت نفسه لتلقى آيات الله بالسمع والبصر، فتصل آيات الله للمؤمن فينتفع بحياته وسمعه وبصره .

يقول صاحب الظلال : « إن الإسلام بسيط وواضح وقريب إلى الفطرة السليمة، فما يكاد القلب السليم، يعرفه حتى يستسلم له، فلا يشاق فيه، وهكذا يصور القرآن تلك القلوب القابلة للهدى المستعدة للإيمان، التى لا تجادل ولا تمارى بمجرد أن يدعوها الرسول فيصلها بآيات الله، فتؤمن لها وتستجيب » .

ثم تأتى جولة أخرى فى أشرط الساعة عند حديث القرآن عن الدابة لتذكير الكفار بأن موعد التوبة قد ينتهى أجله قبل أن يرجع الظالمون عن غيرهم، وحسبنا النص القرآنى والحديث الصحيح الذى يفيد أن خروج الدابة من علامات الساعة، وأنه إذا انتهى الأجل الذى تنفع فيه التوبة، وحق القول على الباقين، فيقضى عليهم بما هم عليه، عندئذ يخرج الله لهم دابة تكلمهم، والدواب لا تتكلم أو يفهم الناس عنها - ولكنهم اليوم يفهمون ويعلمون أنها الخارقة المنبئة باقتراب الساعة، وقد كانوا لا يؤمنون بآيات الله، ولا يصدقون باليوم الموعود .

ويأتى التذكير بيوم الحشر ليرى عاقبة من صد عن سبيل الله، ومن اتخذ آيات الله هزوا، ومن كان يستعجل العذاب، وقامت الحجة على الكافرين فما ينطقون، وكانوا قد ملؤوا الدنيا صياحًا بالكذب وآيات الله تدعو للاعتبار، والاعتبار بآية واحدة تعود إلى الإيذان بالله، فنشهد الليل الساكن والراحة فيه، والنهار المبصر والكذب فيه، وهما خليقان أن يوقظا فى الإنسان وجدانا دينيا ينجح إلى الاتصال بالله .

ومن تأملات صاحب الظلال فى الليل والنهار: « ولو لم يكن هناك ليل لكان الدهر كله نهارا ولانعدمت الحياة على وجه الأرض، وكذلك لو كان الدهر كله ليلا، بل إنه لو كان النهار أو الليل أطول مما هما الآن عشر مرات فقط لحرقت الشمس فى النهار كل نبات، ولتجمد فى الليل كل نبات، وعندئذ تستحيل الحياة فى الليل والنهار بحالتها الموافقة للحياة آيات، ولكنهم لا يؤمنون » .

ثم كان موقف التهديد للكفار بذكر مشهد نفخ الصور وفزع أهل السموات والأرض إلا من أخلص العبادة لله، فيؤمنه الله بعدم الفزع بل تلك كانت نفسا مطمئنة فى الدنيا، فكان

الاطمئنان في الآخرة ، ويأتي الناس أذلاء بين يدي الملك الجبار ؛ ليجزي الله الصادقين بصدقهم والظالمين بظلمهم .

والصور البوق ينفخ فيه ، وهذا هي نفخة الفزع يشمل كل من في السموات ومن في الأرض - إلا من شاء الله أن يأمن ويستقر ، وقد ثبت الله قلبه من الملائكة ، قالوا : هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام وقيل : الشهداء ، وقيل : الحور ، وخزنة النار ، وحملة العرش ، وفي هذه النفخة يصعق كل حي في السموات والأرض إلا من شاء الله ، ثم تكون نفخة البعث ، ثم نفخة الحشر ، وفي هذه يحشر الجميع أذلاء مستسلمين .

ويصاحب الفزع الانقلاب الكوني العام الذي تختل فيه الأفلاك ، وتضطرب دورتها ، ومن مظاهر هذا الاضطراب أن تسير الجبال الراسية ، وتمر كأنها السحاب في خفته وسرعته وتناثره ، ومشهد الجبال هكذا يتناسق مع ظل الفزع ، ويتجلى الفزع فيه ، وكأنها الجبال مذعورة مع المذعورين مفزوعة مع المفزوعين ، هائمة مع الهائمين الحائرین المنطلقين بلا جهة ولا قرار ، والآية تشير إلى دوران الأرض على رأى .

ثم يستمر التلاحم بذكر مشاهد من الآخرة ثم ذكر آيات من الدنيا تدعو للعبرة والعظة وهو مشهد الجبال ونحن نراها ثابتة راسخة وهي تمر وتسير كالسحاب ؛ لأن كل شيء في الكون في حركة مستمرة ، فليتأمل من يتنكر لهذا الصنع العجيب ، وأن من أعرض عن آية فليواجه بأية أخرى تدعو للتأمل في صنع الله - سبحانه - يتجلى إتقان صنعه في كل شيء في هذا الوجود ، فلا فلة ولا مصادفة ، ولا ثغرة ولا نقص ، ولا تفاوت ولا نسيان ، فكل شيء بتدبير وتقدير ، يدير الرؤوس التي تتابعه وتملاه .

وهذا يوم الحساب عما تفعلون ، قدره الله الذي أتقن كل شيء وجاء به في مواعده لا يستقدم ساعة ، ولا يستأخر ؛ ليؤدى دوره في سنة الخلق عن حكمة وتدبير ، وليحقق التناسق بين العمل والجزاء في الحياتين المتصلتين المتكاملتين .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا:

- ١ - التوكل إلى الله في كل أمر بعد القيام بالتكاليف وأخذ الأسباب .
- ٢ - التفكير والتدبر في خلق السموات والأرض .
- ٣ - تذكر علامات الساعة واستحضار مشاهدة يوم القيامة لزيادة الإيمان .

معاني الكلمات

- كبت وجوههم : أبقوا في النار منكسين .
 هذه البلدة : مكة المكرمة .
 شيعاً : فرقاً وأصنافاً .
 يستحى نساءهم : يستبقى بناهم للخدمة .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يشعر الداعية بأن نصر الله للمؤمنين قريب ، وإن إهلاكه - عز وجل - للظالمين واقع لا محالة .
- ٢ - أن يعلم المؤمن جوانب من طغيان فرعون وظلمه .
- ٣ - أن يسعى المؤمن في الأرض عابداً لله غير هيباً من الظالمين .

المحتوى التربوي :

تأتى الآيات لتوضح نتيجة الطاعة والعبادة ، ولتقرير العدل الإلهي الذي لا ميل فيها ولا محاباة ، في أن من يعمل صالحاً في الدنيا فجزاء الله عليه واقع بجزاء في الجنة وهو خالد فيها ، ويؤمن من الفرع جزاء ورحمة من ربهم لأوليائه وعباده ، والأمن من الفرع هو وحده جزاء ، وما بعده فضل من الله ومنة ، ولقد خافوا الله في الدنيا فلم يجمع عليهم خوف الدنيا وفرع الآخرة ، بل أمنهم يوم يفرغ من في السموات ومن في الأرض إلا ما شاء الله ، وأن من أعرض عن ذكره ، فيكذب على وجهه في النار بمجمع الحواس ، فالجزء من جنس العمل .

وقال الفخر الرازي : « اعلم أنه سبحانه وتعالى لما بين المبدأ والمعاد والنبوة ، ومقدمات القيامة وصفة أهل القيامة من الثواب والعقاب - وذلك كمال ما يتعلق ببيان أصول الدين ختم الكلام بهذه الخاتمة اللطيفة فقال : قل يا محمد إنى أمرت بأشياء :

الأول : إنى أمرت أن أحص الله وحده بالعبادة ولا أتخذ له شريكا ، وأن الله - تعالى - لما قدم دلائل التوحيد ، فكأنه أمر محمداً بأن يقول لهم هذه الدلائل التي ذكرتها لكم إن لم تفد لكم القول بالتوحيد ، فقد أفادت لي ذلك فسواء قبلتم هذه الدعوة أو أعرضتم عنها ؛ فإنى مصر عليها غير مرتاب فيها .

ثم إنه وصف الله تعالى بأمرين : أحدهما : إنه رب هذه البلدة ، والمراد مكة ، وإنما اختصها من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها ؛ لأنها أحب بلاد الله إليه وأكرمها عليه وأشار إليها إشارة تعظيم لها دالاً على أنها موطن نبيه ومهبط وحيه .

ويلخص الرسول ﷺ دعوته ومنهجه في الدعوة ، وهو في خطابه لمشركي مكة يذكرهم تبعة الله عليهم بأن تلك البلدة صارت بلدة حراماً ، وهم يستمدون سيادتهم على العرب من عقيدة تحريم البيت ، ثم لا يوحدون الله الذي حرمه ، وأقام حياتهم كلها عليه ويقول صاحب الظلال : « فالرسول ﷺ يُقَوِّمُ العقيدة كما ينبغي أن تُقَوِّمَ ، فيعلن أنه مأمور أن يعبد رب هذه البلدة الذي حرمها ، لا شريك له ، ويكمل التصور الإسلامي للألوهية الواحدة ، فرب هذه البلدة هو رب كل شيء ، ويعلن أنه مأمور بأن يكون من المسلمين الموحدين لله » .

وعند خطاب الكفار لا بد من وسيلة وهو القرآن ، وهو كتاب هذه الدعوة ودستورها ووسيلتها كذلك ، وقد أمر أنه يجاهد به الكفار وهو هدى وبشرى ورحمة للمؤمنين الذين اهتدوا به ، ولكن من ضل وزاغ ، واتخذ القرآن مهجوراً ، فقد أورد نفسه موارد التهلكة ؛ وفي ذلك تأكيد لمعنى فردية الله .

يظهر في الآيات فردية التبعة في ميزان الله فيها يختص بالهدى والضلال فمن آمن فلنفسه ، ومن ضل فعليها ، وفي فردية التبعة تتمثل كرامة هذا الإنسان التي يضمنها الإسلام ..

وكان ختام السورة يناسب موضوعاتها في حمد الله على نعمته في الكون التي آمن بها المهتدون ، وكفر بها الطاغون ، وسيرون في القيامة جزاء إنكارهم وجحودهم ؛ لأن الله لا يغفل ظلم الظالمين ؛ ولا يصلح عمل المفسدين .